كلمة عن دلائل النبوة، والتنبيه على أولية ترك التعبير بلفظ المعجزة

الحمد لله رب العالمين الذي بعثَ رسولَه الأمينَ، وجعل من الدلائل على نبوته والأعلام على رسالته ما فيه اليقينُ لكلٍّ من الثقلين، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله المبعوث رحمة للناس أجمعين؛ أما بعدُ: فقد وقفتُ أمسِ على منشور لأحد الإخوة –وفقه الله وسدد خطاه– عنون له بمعجزت النبي –صلى الله عليه وسلم–، ونقل فيه عن بعض أهل العلم .... فعلقت عليه، واستحببت له أن يبدل لفظ (المعجزات)؛ ويستبدله بلفظ آخر من الألفاظ التي عبَّر بها (أهلُ السنة والجماعة = السلفيون)؛ كـ: دلائل النبوة، وأعلام النبوة؛ لأن هذا هو المصطلح الذي عُرف عندهم، وتعارفوا عليه؛ بخلاف مصطلح (المعجزة) الذي اشتهر عند الفرق المخالفة لأهل السنة، وعرفوا به؛ كالأشعرية، والمعتزلة، وغيرهما من الفرق، ولا أدري هل أخذ الأخُ بما أشرت –به– عليه، أوْ لا! وعليه أحببت أن أكتب كلمة تذكيرية بهذا الخصوص؛ لعلها تنفع، ويُنتفع بها؛ فأقول –وبالله وحده أصول وأجول–:

إن مما لا شك فيه: «أن دراسة دلائل النبوة تزيد المؤمن إيمانا وربما كانت سببا لإسلام من يريد الله به خيرا؛ وأما الملحد والمعاند؛ فإنه لا يزداد إلا عمى، ولو جاءته كل آية».

وهي«أكبر برهان على صدق نبينا محمد –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–».

(الصحيح المسند) ص (7) و(8).

والمقصود بها: «الدلائل والأعلام التي تدل على صدق النبي، وأنه مرسل من عند الله -تعالى-، وصفتها التي تمتاز بها هي عجز الإنس والجن عنها لأنهما المخاطبان بالرسالة.

وتسميتها: آية وبرهانا أولى من تسميتها: معجزةً، أو أمرا خارقا؛ لأن التعبيرَ عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من غيرها؛ ولأن التعبير بالاصطلاحات الحادثة = قد أوجب غلطا كثيرا وإيهاما حيث يدخل فيها الحق والباطل.

وأما أهلُ الكلام فقد سموها: معجزة. وحدَّها أهلُ الاعتزال –منهم- بأنها الأمر الخارق للعادة، ثم التزموا –بعد ذلك- إنكار الكرامات، وتأثير السحر، وقدرة الكهان، وهذا مذهب واضح البطلان.

وأما الأشاعرة فقد انطلقوا من المصطلح نفسه: «المعجزة» المفسَّر بخرق العادة، لكن زادوا على هذا التفسير: قيودا؛ بقصد تمييز المعجزة عن الكرامة والسحر، فاختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا» انتهى من(نقد شروط المعجزة عند الأشاعرة) للدكتور محمد حاج عيسى ص (2).

وقد انتقد صاحبُ المقال تلكم الشروطَ والقيودَ في مقاله هذا، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلامٌ نافع في نقد بعض هذه الشروط في كتابه العظيم (النبوات)؛ فليرجع إليه من أراد التفصيلَ والبيانَ.

ومما ينبغي ذكرُه والتنبيهُ عليه: أن «دلائل النبوة الشاهدة بنبوة نبينا -صلى الله عليه وسلم- متنوعةٌ وكثيرةٌ، ويجمعها أقسام ستة:

الأول: الغيوب التي أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وتحققتْ حال حياته، أو بعد وفاته كما أخبر عنها.

الثاني: المعجزات الحسية التي وهبها الله النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ كتكثير الطعام وشفاءِ المرضى وانشقاقِ القمر.

الثالث: الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمتِه له من القتل، وانتشارِ رسالته عليه الصلاة والسلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعيتِه لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعياً يفتري عليه الكذب بمثل هذا.

الرابع: وهو أعظمُها وأدومُها: إنه القرآن الكريم معجزة الله التي لا تبليها السُنونُ ولا القرون.

الخامس: إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه -صلى الله عليه وسلم-، فهو النبي الذي أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه حال بعثته: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} (آل عمران: 81).

السادس: أخلاق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحواله الشخصية الدالة على كماله ونبوته، إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله له، فقد أدّبه فأحسن تأديبه». انتهى من (دلائل النبوة) للسقار ص (1-3) بشيء من الاختصارِ والتصرّفِ.

ولقد ألف أصحابُ الحديث وأهلُ الأثر العديدَ من المصنفات، والكثيرَ من المؤلفات في دلائل نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ وقد طبع عدد لا بأس منها؛ وهي تختلف من حيث الصغرُ والكبرُ، ومن حيث الصحةُ والضعفُ؛ والجودةُ والإتقانُ؛ ومن حيث العرضُ وطريقةُ السردِ ... إلخ؛ ومن هذه المصنفات المطبوعة:

1 - دلائل النبوة لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي.

2 - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. وللدكتور أحمد المزيد مختصر له، وهو مطبوع متداول.

3 – دلائل النبوة لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري.

4 - دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي.

5 - دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني؛ المعروف بقوام السنة.

وأكبرُها وأجلُّها: كتابُ الحافظ البيهقيِّ -رحمه الله-؛ وهو مطبوع في سبعة مجلدات.

وهناك كتب أخرى حملت عنوانَ: (أعلام النبوة).

ولم تخلُ كتابات المعاصرين من المشاركة في هذا اللون من التأليف؛ فكتب غيرُ واحدٍ في هذا الشأن؛ منهم: درةُ اليمنِ ومحدثُها الشيخُ مقبلُ بنُ هادي الوادعيُّ -تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته-، وذلكم في كتابه النافع: (الصحيح المسند من دلائل النبوة)؛ وقد طبع غير مرة، ومن أراد الوقوف على طائفة كبيرة من أسماء هذه الكتب؛ فليقرأ مقدمة الطويان في تحقيقه لكتاب (النبوات) لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

وختاما: أرجو أن يكون فيما كتبت فائدة، كما أرجو أن نلتزم -ما استطعنا- مصطلحاتِ أهل السنة، والتعبير بها، وأن نجتنب مصطلحات أهل البدع والأهواء، وأن نبتعد عن تعبيراتهم؛ وإن كان المعنى مفهوما والمقصودُ واضحا؛ خاصةً فيما نحن فيه؛ لأن مصطلحَ (المعجزة) قد جعلوا له شروطا وقيودا لا يقول بها أهلُ السنةِ، بل هي مخالفة لمعتقدهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللّهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه آجميعين.

وكتب: أبو عبدالخالق أشرف بن صابر، بعد صلاة الظهر من يوم السبت (22- شوال - 1444 هجرية).